

الحلقة الثامنة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل أنت صديقي تسعى لتطبيق الفرائض والشرائع الدينية بحذافيرها؟ وهل تشعر بالذنب عندما لا تستطيع العمل بها؟ أولاً تحس وكأن هذه الفرائض تقيّدك وتستعبدك ولا تستطيع التحرر منها؟ وما هو الأهم بالنسبة لديك العمل بهذه الفرائض والشرائع وبشكل صارم أم محاولة فهم الهدف الحقيقي منها؟ ألا تعلم مستمعي أن هناك فرقاً بين الالتزام الكامل بتطبيق الشريعة من جهة والعمل بمضمونها وهدفها من جهة أخرى؟

ولكي نوضح ما نريد أن نقول نورد هذه الحادثة التي حصلت مع المخلص المسيح وتلاميذه. فقد ذهب مرة المسيح مع تلاميذه يتجولون بين الزروع في يوم السبت، الذي هو يوم مقدّس بالنسبة لليهود. «فَجَاعَ تَلَامِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ. فَأَلْفَرِيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: «هُوَذَا تَلَامِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِيمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلَا لِلَّذِينَ مَعَهُ، بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ. أَوْ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَسُّونَ السَّبْتِ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ! فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً، لَمَّا حَكَمْتُمْ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ! فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا» (بشارة متى ١٢: ١-٨). سنتأمل بهذه الحادثة ومعانيها البليغة.

صديقي المستمع، كان الفريسيون وهم فرقة يهودية متزمتة يدعون أنهم يطبقون كل الفرائض والشرائع بحذافيرها، التي أعطها الله قديماً لكليمه موسى. وكانوا يهتمون بالمظاهر فقط، أي الظهور أمام الناس بمظهر القداسة والتقوى. لكنهم في نفس الوقت لم يكونوا يهتمون بتنقية أفكارهم وقلوبهم من الداخل. وهو ما انتقده عليهم المخلص المسيح إذ قال لهم مرة: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لَأَنَّكُمْ تَنْقُونَ خَارِجَ الْكَاسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَانِ اخْتِطَافًا وَدَعَاةً.. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَنْظَهَرُونَ

لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلَكِنكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا.. أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّ الْأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّخْفَةَ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا  
أَيْضًا نَقِيًّا» (بشارة متى ٢٣: ٢٥ و ٢٦، ٢٨).

وكان الفريسيون ينتقدون بشدة أية مخالفة للفرائض ولو كانت صغيرة. لهذا لم يكن غريباً أن ينتقدوا تلاميذ المسيح عندما قطفوا سنابل القمح في يوم السبت، الذي هو يوم للراحة والتوقف عن أي عمل. هذا مع العلم أن الفريسيين قد حددوا تسعة وثلاثين نوعاً من الأعمال التي يُحرّم القيام بها في يوم السبت. وكان الحصاد هو أحد هذه الأعمال المحرّمة. لهذا اعتبر الفريسيون أن قطف التلاميذ لسنابل القمح وفركها بين أيديهم، كان نوعاً من الحصاد. لكن الحقيقة أن التلاميذ قطفوا القمح لأنهم جاعوا، وليس لأنهم أرادوا أن يحصدوا القمح. ولم يكن الفريسيون بقادرين أن يروا أبعد وأعمق من التمسك الحرفي بالشرية.

أي لم يكن عندهم مكان لإدراك فحوى الشريعة وهدفها، وبالتالي لا مكان لديهم للرحمة والعطف. وعندما قالوا للمسيح: هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعله في السبت، أجابهم بحادثة حصلت مع النبي داود حين جاع هو والذين معه، وكيف دخل بيت الله، الهيكل، وأكل خبز التقدمة المخصّص للكهنة فقط. وكأن المسيح أراد أن يقول لهم: أن الله وقتئذ لم يُعاقب داود لأن حاجته إلى الخبز كانت أهم من الحرفيات الطقسية. فإن كنتم تدينون تلاميذي فيلزمكم أن تدينوا داود أولاً.

ثم قدّم لهم المسيح برهاناً آخر عن الكهنة الذين كانوا يقدمون الذبائح ويقودون خدمات العبادة في الهيكل أيام السبت. وهنا تساءل المسيح هل كان الكهنة يدنسون الهيكل؟ كان همّ الفريسيين منصرفاً إلى الطقوس الدينية حتى فاتهم الغرض من الهيكل وهو الاتيان بالناس إلى الله. ولهذا قال لهم المسيح عن نفسه: إن ههنا أعظم من الهيكل. فهو أعظم من الهيكل لأنه هو كلمة الله الأزلي المتجسّد، الوحيد المؤهل لكي يأتي بالناس إلى الله.

مستمعي الكريم، لقد فضح المخلص المسيح مواقف الفريسيين المتناقضة والبعيدة عن هدف الشريعة الحقيقي. ثم ختم حديثه معلناً لهم حقيقة هامة قائلاً: «فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ! فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا». لنلاحظ أن المخلص المسيح تحدّث هنا بسلطان إلهي، إذ قال للفريسيين: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً. وأنه هو رب السبت. أي أن المهم عند الله ليس مجرد التمسك الحرفي بالفرائض والشرائع، والتي كان تقديم الذبائح على رأسها. لكن الأساس هو فهم معنى الشريعة الحقيقي الذي هو الرحمة والتحلّي بالعطف تجاه الآخرين. وعندما يتحلّى المرء بالرحمة والعطف، أي يدرك الهدف الحقيقي

لشريعة الله، لا يحكم على الناس الأبرياء، كما قال المسيح. ونستطيع القول أيضاً أنه لكي يكون عند الإنسان موقف الرحمة والعطف تجاه الآخرين، عليه أن يضع الله ومعرفته الحقّة في المكان أو المركز الأول من قلبه.

وهنا نود أن نؤكد أولاً على حقيقة هامة: أنه علينا أن لا نكون مثل أولئك الفريسيين الذين يهتمون بالمظاهر الخارجية، فيظهرون بمظهر التقوى أمام الآخرين دون تنقية القلب من الداخل. أو ليس هذا ما نلاحظه عند الكثيرين من أدعياء التدين؟ إذ لا يكثرثون بكيفية تنقية قلوبهم بل بمظهرهم أمام الآخرين. فنراهم يقومون بتأدية الفرائض الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج، ويحاولون الظهور بمظهر التقوى، بينما تكون قلوبهم من الداخل بعيدة جداً عن الله. وأكبر دليل على ذلك هو أنهم مازالوا مكبلين بالخطيئة. لعلّ السؤال الآن: كيف بمقدور الإنسان أن يضع الله في المكان الأول وأن يعرفه المعرفة الحقّة؟

للإجابة نقول: علينا أن نطلب من الله أن يطهر قلوبنا من الداخل، ويحررنا من عبودية الخطيئة. ويكون ذلك بأن نؤمن بموت المسيح الكفاري على الصليب من أجلنا. وعندها يطهر الله قلوبنا ونصبح من أولاد الله المبررين. وهكذا نستطيع أن نعمل بما يطلبه الله منا ومن كل القلب. وأن نسلك بالتالي في طريق الصلاح والخير.